مهرجان بغداد المسرحي الأول

مهرجان بغداد المسرحي الاول، هو فاتحة لطقوس الاشارات والتحولات على صعيد مشهدنا المسرحي العراقي الحالي وهذه علامة اعتز بها، ويعتز بها المشهد ايضاً

عبد الكريم سلمان
مؤلف مسرحية (رأس الدبوس)

ان واحدة من اهم انجازات هذا المهرجان، هي انه قد تحقق! واصبح واقعاً، على الرغم من كل المعوقات والصعوبات الادارية، التي عانتها ادارة المهرجان والاعمال المسرحية المشاركة.. كما انه، حفل بالتنوع والتلاقح بين الاجيال المسرحية، وكذلك بين الانماط المسرحية التي يحفل بها مشهدنا المسرحي الحالي.

قاسم السومري
مخرج مسرحية (كلكامش)

في الحقيقة، حقق المهرجان شعاراً آخر مغايراً لشعاره المعلن: (لنغير الحياة، لنتبادل الرؤى، لنحتفي بالجديد).. وهو، ان الحياة مستمرة بسرائها وضرائها، ولا تتوقف مادام هناك من يعمل. اما شعار المهرجان نفسه، فالوقت ما زال مبكراً لتحقيقه، خصوصاً ان معظم اعماله سبق ان قدمت في فترات متفاوته من مراحل حياتنا المسرحية السابقة.. وفي الوقت نفسه، فنحن متفائلون بأن الاعمال المسرحية المتساوقة مع شعار المهرجان، قادمة!

عادل كوركيس
مخرج/ مترجم/ رئيس فرقة مسرح اليوم.

المسرحيون العراقيون يستعيدون مسرحهم الحر

عدنان منشد

اختتمت اعمال مهرجان بغداد المسرحي في دورته الاولى يوم لخميس المنصرم بعرض مسرحية (رأس الدبوس) تأليف عبد الكريم سلمان، اخراج، خضير الساري. ثم وزعت بعد ذلك شهادات التقدير بين جميع المخرجين المساهمين في عروض هذا المهرجان، ضمن احتفالية شارك بها الأستاذ مفيد لجزائري/ وزير الثقافة.. الاستاذ الشاعر صادق الصائغ/ المشرف العام على المهرجان.. والاستاذ سعدون العبيدي/ المدير العام لدائرة السينما والمسرح.

ان الجهات المذكورة بذلت جهداً مشكوراً طوال الاشهر الماضية لاثبات ان عاصمتنا كانت وما تزال وستبقى حريصة على ثوابت هذا الوطن، تاريخاً وحضارة، والمؤمنة بان ثقافة وطنها هي حصنها، وخط دفاعها الأشد ثباتاً في مواجهة رياح التغريب، او محاولات الطمس والاقتلاع، على الرغم من حالة الاحتلال ولكنه في المقابل، علينا ان نطرح قراءتنا الخاصة لعروض المهرجان، ونثير الاسئلة التي تفضي بنا الى غايتنا الصحيحة ذلك ان مهمة رجل المسرح والناقد على السواء، تتمثل في محاولة اقتناص ماهو ممكن او جوهري من المعنى والدلالة، عبر مختلف الوسائل والادوات والستراتيجيات.

ان مهرجان بغداد المسرحي الاول، قد نجح في تقديرنا. وهذه ملاحظتنا الاولى. في ان يخرج من مناطق المحنة والتبعية والرقابة القيتة. نصاً واخراجاً وتقنيات. آملين ان يمضي في دورته اللاحقة نحو المستوى الذي نتباهى به امام مهرجانات عربية وعالمية.

ملاحظتنا الثانية تتعلق بحجم ونوعية النصوص العالمية المشاركة في المهرجان، حيث انهملك مخرجوها بالإعداد او الاقتباس او التعريف، كما في مسرحية (كونشرتو) التي اعدها كاظم النصار عن مسرحية (بستان الكرز) لتشيخوف، ومسرحية (البستوكة) التي اخرجها فخري العقيدي بتعريق الراحل عبد الجبار عباس لمسرحية (الجرة) لبير اندللو، ومسرحية (في انتظار غودو) المقتبسة عن مسرحية بيكيت الشهيرة.. وكانت حصة النصوص المحلية، هي السائدة في عروض المهرجان، وهي على التوالي: (صمت كالبكاء) تأليف واخراج انس عبد الصمد (كلكامش) تأليف واخراج قاسم السومري.. (مكانك ايها السيد) تأليف منال غازي.. (اعتذر استاذي لم اقصد ذلك) تأليف عواطف نعيم... (رأس الدبوس) تأليف عبد الكريم سلمان.. (موسم الخرنوب) تأليف فاروق محمد.. ويمكن اضافة نص (بكوكومكوكو) الذي اعده باسم لحجار من مرجعيات شعرية عالية الى جملة هذه النصوص، باعتباره جامعاً للمدونات النصية سعياً الى مدونة العرض. ولم يسجل هذا المهرجان حضور اي من نصوص المسرح العربي، كما جرت العادة في مهرجانات المسرح العراقي السابقة.

عروض متميزة

اتسم عرض الافتتاح (كونشرتو) بالحيوية والتألق، ووجدنا فيه اشتغالاً مغايراً للعرض الأول الذي قدمه المخرج كاظم النصار قبل سنوات على صالة متندى المسرح، على الرغم من أن فرضية الاخراج كانت واحدة، باعتمادها على طاقم الآت الاوركسترا للتعددة، إلا ان سحر السينوغرافيا لجديدة الذي تاحته منصة المسرح الوطني خاصة في منطقة (القوس لسرحي) وجغرافيتها الواسعة (افقياً وعمودياً وعمقاً) فرضت اشتغالاً جديداً حيث لمسنا تأثيثاً مغايراً، فيه ضيعة الكزر في العمق، ومقاعد طاقم الكونشرتو في المقدمة، فيما توزعت منصة (نايسترو) والجزء الاكبر من حركة الممثلين في منطقة القوس لسرحي. وقد اتاح لنا الطاقم التمثيلي المؤلف من (طلال هادي ومازن محمد مصطفى وسنان العزاوي وزهرة بدن وشهرزاد شاكر) مشاهدة عرض مسرحي مبتكر، حافل بالمتعة الجمالية مع الصورة الدرامية التشكيلية الديناميكية لجميلة.

ومن العروض للتميزة في هذا المهرجان ايضاً، مسرحية (مكانك ايها السيد) من اخراج عماد محمد وتمثيل مرتضى سعدي وعلاء حسين، الذي اعتمد على نظرة تقول: (شيء ما سيأتي، شيء ما سيحدث، لابد من جديد) ولهذا قام العرض على معاملة كل محسوس على خشبة المسرح على انه علامة دالة: اللون، مفردات الحركة، التفاصيل الرئية، وتلوينات الصوت. هي كلها علامات وشارات ناطقة كسحب الدخان التي يثيرها الممثل الاول في ارقى مشاهد العرض دونما تورية او حوار، فضلاً عن حيوية مشهد الختام وانفلاته من مسرح العلبة الى جمهور الصالة.

ويمكن القول ان عرض (مكانك ايها السيد) في فتوته واحلامه المسرحية، تكمن بذور نضجه المسرحي، وربما تجاوزه الى شوط جديد وافاق اخرى.

وكان عرض (في انتظار غودو) ينم عن دقة في التعبير، واحساس شديد الرشاقة في معالجة ثيمة (الانتظار) ومغايرته لمرجعياته الشائعة... حقاً، كان (النص) للشاهدين والمسرحيين على حد سواء..

بكوكومكوكو) يبدو أن التخيل الدرامي وقد انفتح على نفسه بالتقاء النص المقترح بالنص الممكن في سياق (النص الصمت" البانتومايم" / النص الغرق /او لغة التناص الحديثة) على الترتيب، ثم في سيناريو العرض ذاته يبدو مرآة لهذا الالتقاء الغريب.

(صمت كالبكاء) وهو عرض استعادي آخر، شاهدناه في مسرح المركز الثقافي الفرنسي الصغير، فبادركناه بحب وتقدير. أما ان يتكرر هذا العرض في مهرجاننا الحالي، من دون اجتهادات واضحة او فاعلة، إلا على صعيد جلسة جمهور قليل على قوس المسرح، إحتكاماً للعدد الحدود من الكراسي البلاستيكية التي جلبت من خارج الصالة، من دون حساب أو ترتيب واضح للجمهور الكبير الذي وفد الى المسرح، فتلك هي في التقدير العام، إشكالية معقدة، ينبغي على مخرج شاب مازال في خطواته الأولى، أن يدرك خطورتها، وهو يعمل على فن صعب وعسير، قد لا تستجيب له الكثرة الكاثرة من جمهور المسرح، واعني به فن التمثيل الصامت "البانتومايم" ولذلك، فقد انزلق عرض (صمت كالبكاء) الى الرتابة، مما تسبب في ترهل الايقاع.

وفي (البستوكة) لفخري العقيدي، وجدنا محاولة استعادية أخرى لتقديم عرض مسرحي يعد من ذخائر المسرح العراقي، بعد أصداء واسعة لهذا العرض منذ منتصف ستينيات القرن الماضي، عندما قدمها المسرح الفني الحديث.

واحسب ان مثل هذا العرض للعد عن (جرة) لويجي بير اندللو الايطالي- كما اسلفنا - وبحس فكاهي واضح، ما عاد مهماً في مرحلتنا الراهنة، حيث المتعة الجمالية في المسرح لاتقارن بعروض مسرحية قالت كلمتها ومضت منذ عشرات السنين، وانما بالجديد والمبتكر، على الرغم من جنوح العقيدي الى نسق الكوميديا من خلال طاقم التمثيل الذي حفل به العرض، امثال (خليل عبد القادر، طه علوان، غازي القيسي، وجدان الأديب، فوزية حسن، زهرة الربيعي...) فكان هذا الطاقم "نجم العرض" بعد ان امتعنا وآنسنا خلال عرض ترويحي قصير، بعيداً عن الاسفاف والتهريج.

اما عرض (بكوكومكوكو) لباسم لحجار، فهو من العروض التي شاهدناها مراراً وتكراراً في كلية الفنون لجميلة وفي منتدى المسرح... إنه، ملفوظ نصي متعال، تنتمي مرجعياته لحوارية الى (لوترميان/هنري ميشو/اكتفيوبات) وغيرهم من الشعراء العالميين والاعتماد على مبنى حكائي غامض، وحتى مهلهل.. وبفضاء مسرحي خال، الا من كرة ضخمة تدور في عمق المسرح من دون علامة نسقية واضحة لهذا الدوران..؟!

نعرف شخصياً الفنان باسم لحجار.. انه حقاً، فنان مسرحي مجتهد منذ اكثر من عقدين من الزمن الماضي. ولكنه- للأسف- ولاسباب موضوعية وذاتية، لم يجد نفسه حتى الآن، وكان الاولى به في هذا المهرجان، ان يعي موضوعة (المتعة المسرحية) لدى المتلقي، وثباتها- وحتى حركها- بقدرة فنان المسرح على تقديم الجديد بشكل خاص، او الدهش على صعيد منظومة العرض، باشكالها السمعية والبصرية والتأويلية.

كلكامش وموسم الخرنوب

من كل هذه الجولة في عروض مهرجان بغداد المسرحي الاول، آثرنا التوقف بشكل دقيق عند عرضين مسرحيين، شاركا في هذا المهرجان، ومن دون ان يحققا تواصلاً ملموساً او استجابة واضحة مع جمهور المسرح، الاول لمخرج شاب عرف من خلال عمل متفرد بعنوان (نقطة البياض) قبل عامين، لمخرج مجنك له صولات وجولات في مسرحنا العراقي طوال العقود الثلاثة النصرمة، واعني به الفنان محسن العزاوي. واعتقد، وهذا اجتهاد شخصي، بان علينا ان نحتفي بمبدعينا -وهم كثر- وان لا ننتظر من يقرع ابوابنا من قبل الغير ليختار ما يحلو له، او ما يعكس رغباته.

ومع انني لا ازعم، ان الاثنين قد فشلا تماما في تقديم عرضيهما في هذا المهرجان، ولا أدعي اطلاقاً، ان طرح مجمل تلك الاعتراضات التي رافقت العرضين، وكانها واجبة وضرورية في هذه الرحلة بالذات، لانها في كل القاييس نقطة الارتكاز لحقيقية لبدايات مهمة وضرورية على صعيد مسرحنا العراقي الجديد.

ولقد شاهدنا (كلكامش) لمرات عديدة بشواغل المخرجين العراقيين على منصاتنا المسرحية العراقية منذ بواكير السبعينيات، من خلال عادل كاظم وابراهيم جلال في مسرحية (الطوفان) وكصدى لهذا العرض الطليعي، سعى الفنان سامي عبد الحميد الى تقديم للحمة كاملة أواخر السبعينيات بعدة عروض: (عرض مسرح الاكاديمية التجريبي/عرض المسرح الروماني في بابل / عرض على قاعه الملك فيصل الاول في الباب المعظم/ عرض الفرقة القومية للتمثيل في قاعة المسرح القومي السابقة / عرض مسرح الرشيد قبل ثلاثة اعوام ضمن فعاليات مهرجان المسرح العراقي الخامس) فضلاً عن اشتغالاته الاخرى لفرقة لهذا العرض، اذ سعى الى تقديم (كلكامش) في مطلع التسعينيات بعنوان "الليالي السومرية" للقاصة لطفية الدليمي، وبامكانات متقشفة ورؤيا مختمرة بالدلالات.

اما عقيل مهدي، فقد اسهم ايضاً في تقديم كلكامش "صبياً" في الثمانينيات، ثم عاد لتقديمها برؤية الشاعر عادل عبد الله في منتصف التسعينيات تحت عنوان (خلود كلكامش).. فما الجديد، بعد ذلك، لقاسم السومري في تقديم هذه اللحمة؟

أحسب صادقاً، ان عرض السومري، كان عرضاً مترهلاً، على صعيد الاداء التمثيلي او على صعيد التقنيات الصاحبة، فضلاً عن ثغرات اعداد هذه اللحمة كمدونة عرض، مع غياب التأثيث اللازم لعرض طرازي من هذا النوع..

أما العرض المسرحي لـ(موسم لخرنوب) بإشتغالات محسن العزاوي، فقد افتتح بمشهد مشحون بالدلالات للبعثة من النسق الضوئي والنسق لحركي والنسق الإنشائي على صعيد الإنشاء والتكوين، فضلاً عن إشباعه بمستويات من التأويل، فالممثلون (خليل الرفاعي/ابتسام فريد/زمن علي/غانم حميد) كانوا غاطسين في الوحل، أو وسط الحنة الإنسانية، كما أومأت لنا لواعجهم ومنولوجاتهم الذاتية لعذبة. ولكن، هيهات، إنها لحيرة والغربة الإنسانية، في عالم الرحمة تماماً، بعد أن انتفى للخرج تقديم صورة قاتمة عن الوضع العراقي في مرحلة حساسة وبعيدة عن تاريخنا الوطني لحاضر.

لقد شاهدنا هذا العرض، في مطلع الثمانينيات على مسرح بغداد، فكان أليفاً، من خلال متنه لحكائي القريب- سواء بوفرة العلامات البصرية لنتشرة في فضاء العرض، أو في طريقة التعبير عن الإشارات الرمزية التي تضمنتها تلك العلاقات، عبر الاستثمار الأمثل لها. لا نستغرب، بعد ذلك، أن يكون عرض (موسم الخرنوب) الراهن خاملاً بعد ولم يشفع دخول الممثل الكوميدي (سعد خليفة) في إنقاذه من هذا الترهل الواضح للحسوس، فأمسى العرض متكاملاً لا روح فيه.

ملاحظات أخيرة

وبعد..

هذا هو مهرجان بغداد المسرحي الأول بقضه وقضيضه بعد أن غابت عنه أشياء كثيرة، كالجلسات النقدية الرافقة، أو الإعلام لحقيقي الواضح لمثل هذه الفعالية الناشطة، فضلاً عن غياب فرق لحافظات في الجنوب والوسط، مع غياب أسماء الفرق لمسرحية العروفة في العاصمة، وغياب مسابقة المهرجان على صعيد التمثيل والتأليف والإخراج والتقنيات المسرحية، إضافة إلى تغييب تكريم المبدعين المسرحيين من الأجيال المسرحية الفاعلة في الشهد الحالي..

إننا نطرح هذه اللاحظات، على أمل أن نجد آذاناً صياغة في القريب العاجل، خاصة إن استثمار إقبال لجمهور على العروض المسرحية، يتطلب من الجميع خطوات جادة، يمكن في القريب العاجل أن تجعل من هذا الجمهور، حاضراً لجميع العروض بلا استثناء، ما دام يبغي المتعة والفائدة.